Journal of Islamic Sciences
Volume (3), Issue (5) : 30 Dec 2020
P: 123 - 138

ISSN: 2664-4347

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد (3)، العدد (5) : 30 ديسمبر 2020م
ص: 123 - 138

The issue of arranging verses and surahs of the Noble Qur'an in the thought of Abed Al- Jabri through his book Introduction to the Quran

Abdurrezzak Abdulkarem Serhan[1]

Ahmed Abay[2]

College of Sharia || Suzhou Imam University || Turkey

Abstract: This study aims to present and discuss the position of Dr. Muhammad Abed al- Jabri on the Qur'an arrangement, and the issue of al- Makki and al- Madani, and to present and discuss his position on the orientalists 'arrangement of the suras of the Noble Qur'an according to descent. It is an analytical study, in which it followed the descriptive, analytical and comparative approach, and the study reached many results, the most important of which are:

1- The most correct view in the Qur'an arrangement is that it is my arrest, not the action of the hard- working Companions.

2- The Companions differed in the order in which the Qur'anic verses were revealed, and they had many narrations regarding that.

3- The interest of the Orientalists was so great that some people thought that researching the history of the Qur'an was one of the innovations of the Orientalists in the sciences of the Qur'an, and we have proven in this research the error of that illusion.

Keywords: The order of the Surahs- The order of the verses- The decent of the Quran- The interpretation of the Quran.

مسألة ترتيب آيات وسور القرآن الكريم في فكر عابد الجابري من خلال كتابه مدخل إلى القرآن

عبد الرزاق عبد الكريم سرحان

أحمد آباي

كلية الشريعة || جامعة سوتشو إمام || تركيا

الملخص: هدفت هذه الدراسة إلى عرض ومناقشة موقف الدكتور محمد عابد الجابري من الترتيب المصحفي، وقضية المكي والمدني، وعرض ومناقشة موقفه من ترتيب المستشرقين لسور القرآن الكريم حسب النزول، وهي دراسة تحليلية، واتبعت فيها المنهج الوصفي التحليلي المقارن، وقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج، ومن أهمها:

1- الراجح في الترتيب المصحفي أنه توقيفي لا من فعل الصحابة المجتهدين.

2- اختلف الصحابة في ترتيب نزول الآيات القرآنية، وكان لهم في ذلك كثير من الروايات.

3- لقد كان اهتمام المستشرقين كبيرا حتى ظن بعض الناس أن البحث في تاريخ القرآن من بدع المستشرقين في علوم القرآن، وقد أثبتنا في هذا البحث خطأ ذلك الوهم.

الكلمات المفتاحية: ترتيب السور- ترتيب الآيات- نزول القرآن- تفسير القرآن

ORCID: 0000-0003-1649-217X (1)
ORCID: 0000-0001-8284-8336 (2)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، سيدنا محمد النبي العربي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الهداة المهديين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد...

فإنه لا شك أن نزول القرآن الكريم يعد أهم حدث جد في تاريخ الشعوب العربية؛ ولإبراز قيمة هذا المنعرج التاريخي الحاسم أبصق به بعض المهتمين بالحضارة العربية من المستشرقين لفظ (الحدث)؛ حتى يدلوا على الأثر العميق الذي خلفه في طابع الحضارة العربية، والدور الذي لعبه في حياته ولغته وآدابه[3].

هذا وقد حث الله تعالى المؤمنين وأمرهم بتدبر القرآن الكريم، والكشف عن معانيه، ومحاولة فهم أغراضه ومراميه؛ قال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}[4]، وقال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[5].

هذا ومن أهم المداخل إلى تدبر القرآن الكريم، ومعرفة معانيه، والتحقق من وجوه إعجازه الاطلاع على مناط ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره؛ حيث إنه لا يتحقق الإعجاز البياني للقرآن الكريم إلا بهذا الترتيب، حتى توجه بعض المفسرين إلى تفسير القرآن على ترتيب النزول، كما أن معرفة أسباب نزول الآيات ومناسباتها يعتمد بسور كبيرة على ترتيب الآيات في السورة الواحدة، وترتيب السور بين بعضها حسب ترتيب المصحف[6].

ومن هؤلاء المعاصرين الذين كان وضعوا تفسير للقرآن الكريم المفكر المغربي الشهير الدكتور محمد عابد الجابري؛ حيث وضع على هذا المنهج تفسيره الذي سماه (فهم القرآن الكريم)؛ وكذلك تحدث عنها باستفاضة في كتابه في علوم القرآن (مدخل إلى القرآن الكريم)، وكان له في هذا الكتاب آراء واجتهادات كثيرة حول هذه المسألة، ولشهرة الدكتور محمد عابد الجابري، وذيوع كتابه هذا يحاول الباحث في هذا البحث مناقشة هذه المسألة عنده؛ من خلال عرضها وعرض آراء العلماء قديما وحديثا بِشأنها، ومقارنة ما أسفر عنه البحث في مصادر علوم القرآن أو غيرها من المصادر التي تحدثت عن هذه المسألة بما ذهب إليه الدكتور عابد الجابري فيها.

مشكلة الدراسة:

تتناول هذه الدراسة بالبحث مسألة ترتيب وآيات القرآن الكريم من حيث أسبقية نزولها على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم في فكر الدكتور محمد عابد الجابري من خلال كتابيه الشهيرين (مدخل إلى القرآن الكريم)، وتفسيره المسمى بـ(فهم القرآن الكريم) ومقارنة ما ذكره في هذه المسألة بما ذكره العلماء السابقون واللاحقون فيها في كتبهم في علوم القرآن الكريم أو غيرها.

أسئلة الدراسة:

تتحدد مشكلة الدراسة في الأسئلة الآتية:

1- ما موقف الدكتور محمد عابد الجابري من الترتيب المصحفي لسور القرآن الكريم؟

---

(3) ينظر: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره حتى نهاية القرن السادس الهجري، د. حمادي صمو، منشورات الجامعة التونسية، 1981م، (ص33).

(4) سورة النساء، الآية: (82).

(5) سورة محمد الآية، (24).

(6) ينظر: المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم، عبد الله الخطيب - مصطفى مسلم، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، 1426هـ/ 2005م، المجلد رقم (2)، العدد رقم (2).

2- ما موقف الدكتور محمد عابد الجابري في قضية المكي والمدني في القرآن الكريم؟
3- ما موقف الدكتور محمد عابد الجابري من ترتيب المستشرقين لسور القرآن الكريم حسب النزول؟

أهداف الدراسة:

تستهدف الدراسة تحقيق الآتي:

1- عرض ومناقشة موقف الدكتور محمد عابد الجابري من الترتيب المصحفي.
2- عرض ومناقشة موقف الدكتور محمد عابد الجابري في قضية المكي والمدني.
3- عرض ومناقشة موقف الدكتور محمد عابد الجابري من ترتيب المستشرقين لسور القرآن الكريم حسب النزول.

أهمية البحث:

ترجع أهمية البحث إلى ما يلي:

1- ارتباط بالحث بالقرآن الكريم، كلام الله تعالى، فهو أحق الكتب أن تبذل في دراسته أنفس الأوقات.
2- الشهرة التي تمتع بها الدكتور محمد عابد جابري.
3- أهمية القضايا التي تناولها الكتاب، وخطورتها.
4- انتشار الكتاب بما فيه من آراء وأفكار.

الدراسات السابقة:

- **الدراسة الأولى:** حامدي، مبارك، إشكالية التحديث في مشروع الجابري الفكري: مقاربة تحليلية نقدية، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والثقافية، جامعة القيروان تونس، عدد: 4، 2015م. وهدفت الدراسة إلى بيان مفهوم التحديث، والتأطير التاريخي لمشروع الجابري الفكري، والتحديث في مشروع الجابري، وقراءة نقدّية لإشكالّية التحديث في فكر الجابري. ومن خلال ما سبق توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1- بدأ مشروع الجابري منشداً إلى الهم السياسي، وما يفرضه من تكتيكات ظرفية، بحكم انخراط صاحبه في العمل السياسي.
2- المشروع التحديثي الجابري مشروع ضخم نشط في واقع حضاري موسوم بالتشوه والتأخر، والتفكيك والتبعية.

- **الدراسة الثانية:** حسن، عطا سامي، الاتجاه العِلماني المُعاصِر في عُلوم القرآن الكَريم الجابِري..أُنموذجاً، جامعة آل البيت- المفرق – المملكة الأردنية الهاشمية، 2013م، هدفت الدراسة إلى بيان ترجمة مبسطة للجابري، وآراء العلماء في ترتيب آيات القرآن، وفي ترتيب سوره، وعرض لمحاولات المستشرقين والجابري في ترتيب آيات القرآن حسب ترتيب النزول، وبيان لشبهاته حول ميراث المرأة، ومطالبته مساواة المرأة بالرجل في الميراث، وعرض لتشكيكه في سلامة القرآن من النقص والتحريف، وعرضت لتشكيك الجابري في أمية الرسول – صلى الله عليه وسلم.

ومن خلال ما سبق توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1- ترتيب الآيات لم يكن عشوائيا، بل إنما تم بترتيب العليم الحكيم. ولذلك جاء محكم البناء، بل عد العلماء ذلك من إعجاز القرآن.
2- موضوع الزيادة والنقصان في القرآن موضوع قديم كثر فيه القيل والقال. وقد تحدثت المصادر السُّنية منها والشيعية عن دعوى التحريف في القرآن، وأجمعت على أن ذلك فِريةٌ بلا مِريةٌ.
3- الأمية كمالٌ في حقه –صلى الله عليه وسلم- ودليل على القدرة والعناية الإلهيتين، وعلى المعجزة الربانية في نفس الوقت.

- **الدراسة الثالثة:** صالح، جاد الله بسام، نقد دعوى المسار التكويني في ترتيب سور القرآن الكريم: قراءة تحليلية نقدية في كتاب مدخل إلى علوم القرآن لمحمد عابد الجابري، مجلة الفتوى والدراسات الإسلامية، العدد: 2، 2019م، وقد هدفت الدراسة إلى التعريف بالجابري ومنهجه الفكري، والمذاهب في الترتيب المصحفي، ومستند الترتيب النزولي لآيات القرآن الكريم، ومعيار ترتيب سور القرآن في المصحف عند الجابري، ونظرة الجابري لنزول القرآن الكريم بحسب زمن النزول، ونظرة الجابري لترتيب سور القرآن الكريم عند المستشرقين، وضرورة الترتيب النزولي عند الجابري، وهدفه، ومعاييره، ومن خلال ما سبق توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1- الترتيب المصحفي ترتيب توقيفي، لم يكن باجتهاد من الصحابة رضي اهلل عنهم، وهو قول جمهور العلماء في مسألة الترتيب المصحفي.
2- يرى الجابري أن ترتيب السور المصحفي لا معيار له إجمالاً، وأنه من الضروري أن ترتب سور القرآن ترتيباً نزولياً.
3- يهدف الجابريؒ من قضية الترتيب النزولي إلى مطابقة مسار الدعوة لمسار تكوّن نص القرآن الكريم، تحت عنوان: المسار التكويني لنص القرآن الكريم، معتمدًا في ذلك على خصائص القرآن المكي والمدني، وروايات أول ما نزل وآخر ما نزل.

الفرق بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية:

على الرغم من مساهمة الدراسات السابقة في إثراء الدراسة الحالية، إلا أن هناك فرقاً بين الدراسات السابقة، والدراسة الحالية، حيث جاءت الدراسات السباقة إما عامة تتحدث عن فكر الجابري بصفة عامة، أو التخصص في علوم القرآن، أو الاقتصار على قضية واحدة من القضايا التي تحدث عنها الجابري، أما الدراسة الحالية فعرضت وناقشت آراء الجابري في كتابه مدخل في علوم القرآن.

منهج البحث:

يعتمد الباحثان في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي المقارن؛ حيث يقوم على أساس تحديد خصائص الظاهرة، ووصف طبيعتها، ونوعية العلاقة بين متغيراتها وأسبابها واتجاهاتها، وما إلى ذلك من جوانب تدور حول سبر أغوار مشكلة أو ظاهرة معينة، والتعرف على حقيقتها في أرض الواقع، ويعتبر بعض الباحثين أن المنهج الوصفي يشمل كافة المناهج الأخرى، باستثناء المنهجين التاريخي والتجريبي؛ حيث إن عملية الوصف والتحليل للظواهر تكاد تكون مسألة مشتركة وموجودة في كافة أنواع البحوث العلمية، ويعتمد المنهج الوصفي على تفسير الوضع القائم؛ أي: ما هو كائن، وتحديد الظروف والعلاقات الموجودة بين المتغيرات، كما يتعدى المنهج الوصفي مجرد جمع بيانات وصفية حول الظاهرة، إلى التحليل والربط والتفسير لهذه البيانات وتصنيفها وقياسها واستخلاص النتائج منها[7].

خطة الدراسة:

يشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

- **المقدمة:** وفيها تعريف بموضوع الدراسة وأسئلتها وأهدافها ومنهج البحث فيها.
- **التمهيد:**

(7) ينظر: مرسي، أحمد، تطور الفكر التربوي، (ص96).

- أولاً: ترجمة مختصرة للدكتور محمد عابد الجابري.
- ثانياً: نزول القرآن الكريم ومناهج العلماء في تفسيره.

- **المبحث الأول:** موقف الدكتور محمد عابد الجابري من الترتيب المصحفي.
- **المبحث الثاني:** موقف الدكتور محمد عابد الجابري في قضية المكي والمدني.
- **المبحث الثالث:** موقف الدكتور محمد عابد الجابري من ترتيب المستشرقين.
- **الخاتمة:** وفيها أبرز النتائج والتوصيات التي تخرج بها الدراسة.

التمهيد

أولاً- ترجمة مختصرة للدكتور محمد عابد الجابري:

ولد محمد عبد الجابري عام 1935م بالمغرب في مدينة فكيك، عمل في السلك التعليمي 45 عاماً، حصل على دبلوم الدراسات العليا عام 1867م، ثم دكتوراه الدولة في الفلسفة عام 1970م، من كلية الآداب جامعة محمد الخامس، كان قيادياً بارزاً في حزب الاتحاد الاشتراكي، للقوات الشعبية مدة طويلة، ثم اعتزل العمل السياسي عام 1980م.

أما اتجاهه الفكري فإن الجابري ينزع إل فكر الحداثيين والمستشرقين، في التعامل معل الشرعية الإسلامية، ولعل النشأة اليسارية التي نشأها كان لها أثر في ذلك، ومن مؤلفاته:

نقد العقل العربية ومدخل إلى علوم القرآن، وفهم القرآن الكريم.

توفي الجابري عام 2010م بالمغرب[8].

ثانياً- حول نزول القرآن الكريم ومناهج العلماء في تفسيره

- نزول القرآن الكريم:

يقول الله تعالى في كتاب القرآن الكريم: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}[9]، وقد أجمع المفسرون على أنه ليس المقصود من هذه الآية الكريمة أن الله –عز وجل- قد أنزل القرآن الكريم جميعه في هذه الليلة على قلب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وإنما المراد منها أن الله تعالى قد أنزل القرآن من اللوح المحفوظ في السماء السابعة إلى السماء الأولى، أو السماء الدنيا[10]؛ فعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: "أنزل القرآن جملة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، قال تعالى: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}[11]، وَقَرَأَ {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا}[12]"[13].

---

(8) صالح، نقد دعوى المسار التكويني في ترتيب سور القرآن الكريم: قراءة تحليلية نقدية في كتاب مدخل إلى علوم القرآن لمحمد عابد الجابري، ص90-91.

(9) سورة القدر، الآية: (1).

(10) ينظر: الطبري، محمد بن جرير.جامع البيان في تأويل القرآن، (24/ 531)، الماتريدي، تأويلات أهل السنة (10/ 583).

(11) سورة الفرقان، الآية: (33).

(12) سورة الإسراء، الآية: (106).

(13) أخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى، (10/ 205)، رقم (11308).

وكذلك أجمع العلماء على أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قد لبث في مكة ثلاثة عشر عاما قبل الهجرة، وفي المدينة المنورة عشرة أعوام بعد الهجرة، وكان القرآن الكريم يتنزل عليه في جميعها، حتى توفي- صلى الله عليه وسلم- في السنة العشرة من الهجرة[14].

وفي هذه السنوات الثلاث والعشرين كان القرآن الكريم ينزل على قلب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- منجما، فعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: "أُنْزِلَ الْقُرْآنُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا جُمْلَةً، ثُمَّ أُنْزِلَ نُجُومًا"[15]، ومعنى (منجما) أي: مفرقًا على حسب الحوادث والأسباب التي تستدعي نزول كل آية من آياته، وذلك لحكم كثيرة منها تثبيت فؤاد الرسول بموالاة الوحي بالقرآن، فإن موالاته فيها أنس للنبي- صلى الله عليه وسلم، وتثبيت لعزيمته، وتأيد مستمر له، فيقوم بحق الدعوة بالجهاد في سبيلها، وإذا الروح الأمين الذي يجيئه بكلام رب العالمين في موالاة مستمرة[16]، كما في قول الله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا}[17]، وغير ذلك من الحكم.

مناهج العلماء في تفسير القرآن الكريم:

التَّفْسير في اللغة مصدر قياسي على وزن تفعيل من الفعل الثلاثي المزيد بحرف فَسَّرَ الذي هو على وزن فَعَّل أحد أوزان مزيد الثلاثي بحرف[18]، وَمُجَرَّدُه فَسَرَ بمعنى أَبَانَ وَشَرَحَ، يقال: فَسَرْتُ الكلمةَ أَفْسِرها –بكسر السين- أي: أبنت معناها وشرحته، ويقال فَسَّرتُ الكلام تفسيرًا. أي: أبنت معناه وشرحته[19].

وفي الاصطلاح هو علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، والمراد بكلمة (علم) المعارف التصورية؛ لأن علم التفسير من قبيل التصورات؛ لأن المقصود منه تصور معاني ألفاظه وذلك من قبيل التعاريف، وخرج بقولنا (يبحث فيه عن أحوال القرآن) العلوم الباحثة عن أحوال غيره، وخرج بقولنا: (من حيث دلالته على مراد الله تعالى) العلوم التي تبحث عن أحوال القرآن من جهة غير جهة دلالتها[20].

وقد انقسمت مناهج العلماء السابقين واللاحقين في تفسير كتاب الله تعالى إلى قسمين:

- **التفسير بالمأثور**: ويقصد به تفسير القرآن الكريم اعتماداً على "ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة بيانا لمراد الله تعالى من كتابه"[21].
- **التفسير بالرأي**: هو تفسير القرآن الكريم بالاجتهاد اعتمادا على الأدوات التي يحتاج إليها المفسّر، التي هي: معرفة المفسّر لكلام العرب، ومعرفة الألفاظ العربية ووجوه دلالتها، ومعرفة أسباب النزول، وترتيب نزول السور والآيات، والناسخ والمنسوخ منها، وغير ذلك[22]، وبهذا النوع الثاني ترتبط المسألة التي يناقشها هذا البحث.

---

(14) ينظر: النسائي، فضائل القرآن للنسائي، (ص57)، ابن العربي، أحكام القرآن، (4/ 426).

(15) أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الأوسط، (2/ 131)، رقم (1479)، والإمام الحاكم في المستدرك، (2/ 578)، رقم (3959).

(16) ينظر: أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، (ص18).

(17) سورة الفرقان، الآية: (32).

(18) أوزان الثلاثي المزيد بحرف هي: (أَفْعَلَ - فَاعَلَ - فَعَّلَ)، ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل (4/ 433)، الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، (ص27).

19) ينظر: الجوهري، الصحاح (2/ 781)، ابن فارس، مقاييس اللغة، (4/ 504).

(20) ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (2/ 3).

(21) ينظر: السابق نفسه، (2/ 12).

(22) ينظر: عتر، علوم القرآن الكريم، (ص85)، قدوري، محاضرات في علوم القرآن، (ص229).

المبحث الأول: موقف الدكتور محمد عابد الجابري من الترتيب المصحفي

أولًا- العرض:

يفرق الدكتور الجابري بين مسألتين في هذا الباب، وهما: مسألة الترتيب المصحفي للآيات، ومسألة ترتيب السور والآيات بحسب أسبقية النزول:

فأما الترتيب المصحفي فيصرح الدكتور الجابري بأن القرآن لم ترتب سوره وآياته على هذا النحو الذي نراه في المصاحف التي بين أيدينا إلى أيام الخليفة الراشد عثمان بن عفان- رضي الله عنه- وأن من تولى عمل هذا الترتيب نفس اللجنة التي شكّلها عثمان بن عفان- رضي الله عنه- لجمع القرآن الكريم في مصحف واحد يكون إماما للمسلمين[23].

ويرى الدكتور الجابري أن ذلك الترتيب تم وفق ثلاثة معايير، وهي:

أولا- معيار الطول والقصر: حيث يرى الدكتور الجابري أن سور القرآن في المصحف مرتبة في الأعم الأغلب حسب تدرجها من الطوال إلى القصار، وأن هذا المعيار في الترتيب كان مطبقا في الأعم الأغلب، بمعنى أنه كان هناك استثناءات منه، مثل سورة الفاتحة التي هي أول سورة في القرآن الكريم وتأتي بعدها البقرة التي هي أطول سورة[24].

وقد استدل الدكتور الجابري على هذا ببعض الروايات، منها ما روي أن عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما- سأل عثمان بن عفان- رضي الله عنه-: ما حملكم أن عمدتم إلى براءة وهي من المئين، وإلى الأنفال وهي من المثاني فجعلتموهما في السبع الطوال ولم تكتبوا بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم)؟ قال عثمان: كان النبي- صلى الله عليه وسلم- ما تنزل عليه الآيات فيدعو بعض من كان يكتب له، ويقول له: «**ضع هذه الآية في السورة التي يذكر فيها، كذا وكذا**». وتنزل عليه الآية والآيتان فيقول مثل ذلك، وكانت الأنفال من أول ما أنزل عليه بالمدينة، وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها؛ فظننت أنها منها؛ فمن هناك وضعتها في السبع الطوال، ولم أكتب بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم)[25].

ثانيًا- معيار المكي والمدني: ويرى الدكتور الجابري أن هذا المعيار فيه اختلاف كبير، مرده إلى أن الاهتمام بمكية السورة أو مدنيتها لم يكن واقعا إلا في القرن الثاني الهجري في عصر التدوين؛ مع اعترافه بأن هذا التصنيف إلى مكي ومدني من التصنيفات المعتمدة من عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم- مع وجود كثير من الآيات في السور المدنية نزلت في مكة أو في السور المكية نزلت في المدينة[26]، غير أن الدكتور الجابري لم يبين كيف طُبق هذا المعيار في الترتيب المصحفي بين الآيات والسور.

ثالثا – معيار أول ما نزل وآخر ما نزل: ويرى الدكتور الجابري أن هذا المعيار من أكثر المعايير التي شهدت خلافا في الآراء والروايات والأقوال؛ بحيث أصبح من الصعب تماما إضفاء مقدار كاف من الصدقية والصحة على اللوائح التي تمدنا بجميع سور القرآن مرتبة حسب النزول، خصوصاً[27].

---

(23) ينظر: الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، (233).

(24) ينظر: السابق نفسه، (ص234).

(25) أخرجه الإمام أبو داود في سننه، (1/ 208)، رقم (786)، والإمام الترمذي في سننه، (5/ 123)، رقم (3086).

(26) ينظر: الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، (ص234).

(27) ينظر: السابق نفسه، (ص239).

ثانيًا- المناقشة:

من خلال ما سبق يرى الدكتور الجابري بعض الآراء التي في حاجة إلى فصل نظر، وقبل الإفاضة فيه يجب تقرير أن ترتيب الآيات داخل السور وقع بتوقيف من النبي- صلى الله عليه وسلم- وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين، وإنما اختلف في ترتيب السور على ما هي عليه[28]، بل كان جبريل ينزل بالآيات على الرسول- صلى الله عليه وسلم- ويرشده إلى موضع كل آية من سورتها، ثم يقرؤها النبي- صلى الله عليه وسلم- على أصحابه, كما ورد في الحديث: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[29][30].

أما ترتيب السور داخل المصحف فقد اختلف العلماء فيه على قولين:

- **القول الأول**: أن ترتيب السور في المصحف على نحو ما هي عليه الآن أمر اجتهادي انتهت إليه اللجنة التي شكلها عثمان بن عفان- رضي الله عنه- عندما جمع القرآن الكريم في مصحف واحد، وينسب هذا القول إلى الإمام مالك، وجمهور غفير من العلماء.

وقد استدلَّ أصحاب هذا القول بالأدلة الآتية:

- أن مصاحف الصحابة كانت مختلفة في ترتيب سورها، ولو كان الترتيب توقيفًا ما ساغ لهم أن يرتبوا على غير الوارد؛ فمصحف ابن مسعود كان مبدوءًا بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران، وهكذا على اختلاف واسع بينه وبين الترتيب الذي في المصحف اليوم، ومصحف أُبَيّ بن كعب كان مبدوءًا بالفاتحة ثم البقرة ثم النساء، ثم آل عمران، ثم الأنعام.. إلخ، مع خلاف كبير[31].
- أن بعض الروايات أثبتت أن عثمان بن عفان- رضي الله عنه- هو الذي أمر بترتيب سور القرآن على هذا النحو الذي في المصحف عن اجتهاد منه ونظر، وذلك مثل الرواية التي أوردها الدكتور الجابري.
- أنه قد ورد أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قد قرأ بعض سور القرآن الكريم على غير ترتيبها هذا الذي هو مذكور في المصاحف؛ فعن حذيفة –رضي الله عنه- قال: صليت مع النبي- صلى الله عليه وسلم- ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسلا[32]؛ وترتيب المصحف آل عمران قبل النساء؛ فدل على أن هذا الترتيب كان من اجتهاد الصحابة.

- **القول الثاني**: أن ترتيب جميع السور كان بتوقيف من النبي- صلى الله عليه وسلم- كترتيب الآيات، واستدلوا لهذا الرأي بالأدلة الآتية:

- روى ابن أبي شيبة في مصنفه عن سعيد بن خالد: قرأ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بالسبع الطوال في ركعة، وفيه أنه- عليه الصلاة والسلام- كان يجمع المفصَّل في ركعة[33].
- ما روي عن حذيفة الثقفي- رضي الله عنه- أنه قال: كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف، فقال لنا رسول الله- صلى الله عليه وسلم: طرأ علي حزب من القرآن، فأردت ألا أخرج حتى أقضيه، فسألنا أصحاب رسول الله- صلى

(28) ينظر: الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، (ص182).

(29) ينظر: إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، (ص59).

(30) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (29/ 441)، رقم (17917).

(31) سورة النحل، الآية: (90).

(32) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، (1/ 536)، رقم (772).

(33) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، (1/ 323)، رقم (3702).

الله عليه وسلم، قلنا: كيف تحزّبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصَّل من "ق" حتى نختم[34].

- أن الصحابة أجمعوا على المصحف الذي كُتِبَ في عهد عثمان ولم يخالف منهم أحد، فلو كان هذا الإجماع عن اجتهاد لتمسَّك أصحاب المصاحف المخالفة بترتيب مصاحفهم[35].
- أنه لو كان ترتيب السور عن اجتهاد لظهرت العلة التي بُنِيَ عليها، فمن الواضح أنه لم يرتَّبْ على حسب النزول الزمني، ولا على الطول والقصر، فسور طوال بين قصار وبالعكس، ولا على المكي والمدني, فسور مكية بين سور مدنية وبالعكس، ولا على تجانس الموضوعات وقربها؛ فبين سور القصة الواحدة سور أخرى، ولا على حسب الفواتح، فلم تذكر المسبحات ولاء، مع أن الحواميم رتبت ولاء، كذلك اختلَّ ترتيب الطواسين حيث فصل بين "طسم" الشعراء و"طسم" القصص بـ "طس"، وحيث لم تظهر علة لهذا الترتيب مع الإجماع عليه، كان بتوقيف وتسليم وإذعان لصاحب القرآن.

المبحث الثاني: موقف الدكتور محمد عابد الجابري في قضية المكي والمدني

أولًا- عرض القضية:

يعرض الدكتور محمد عابد الجابري كذلك لقضية تقسيم سور وآيات القرآن الكريم إلى مكية ومدنية، ويرى أن تمييز المكي من المدني "موضوع اختلاف كبير بين الرواة والمفسرين"[36].

ثانيًا- مناقشة القضية:

يتفق الباحثان مع ما ذهب إليه الدكتور الجابري من أن التفرقة بين المكي والمدني من القرآن الكريم موضع خلاف كبير بين الرواة والمفسرين[37]، إلا أنه يجب هنا إضافة أمر مهم جدا، وهو أن العلماء قد وضعوا مجموعة من الضوابط يمكن من خلالها ضبط معرفة السور المكية من السور المدنية، وقبل ذكر هذه الضوابط تنبغي الإشارة إلى أن سور القرآن تنقسم –حسب المكية والمدنية- إلى ثلاثة أقسام: مكي ومدني وما بعضه مكي وبعضه مدني[38]، ولمعرفته طريقان: سماعي، وقياسي، فالسماعي: ما وصل إلينا نزوله بإحداهما، والقياسي ما يظهر بأمرات معينة كونه مكيّاً أو مدنيّاً

وضوابط معرفة ذلك هي:

أولًا: كل سورة فيها لفظ (كلَّا) فهي مكية، وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن ثلاثًا وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة كلها في النصف الأخير من القرآن، وحكمة ذلك أن نصف القرآن الأخير نزل أكثره بمكة وأكثرها جبابرة فتكررت فيه على وجه التهديد والتعنيف لهم والإنكار عليهم بخلاف النصف الأول[39].

و(كلا) تأتي في العربية على ثلاثة أوجه:

---

(34) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (26/ 89)، رقم (16165).

(35) ينظر: الباقلاني، الانتصار للقرآن، (1/ 293).

(36) ينظر: الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، (ص235).

(37) ينظر: ابن الجوزي، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، (ص335).

(38) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (ص37).

(39) ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (1/ 197).

الأول: حرف ردع وزجر، كما في قول الله تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}[40]، أي: انته عن هذه المقالة فلا سبيل إلى الرجوع.

الثاني: بمعنى (حقا)، مثل قول الله تعالى: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (6) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى}[41]، أي: حقا إن الإنسان ليطغى.

الثالث: بمعنى (إي)، وذلك مثل قول الله تعالى: {كَلَّا وَالْقَمَرِ}[42] أي: إي والقمر[43].

ثانيا: كل سورة فيها سجدة فهي مكية لا مدنية[44].

ثالثا: كل سورة افتتحت بالحروف فهي مكية إلا البقرة وآل عمران، واختلف في الرعد.

رابعا: كل سورة فيها قصة آدم- عليه السلام- وإبليس- لعنه الله- فهي مكية إلا البقرة.

خامسًا: كل سورة فيها القصص والأنباء عن القرون فهي مكية.

سادسا: كل سورة جاء فيها النداء {يا أَيُّهَا النَّاسُ}، ولم يأت فيها النداء {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فهو مكي لا مدني[45].

سابعًا: كل سورة في أولها حروف التهجي فهي مكية سوى سورة البقرة وآل عمران فإنهما مدنيتان بالإجماع وفي الرعد خلاف[46].

ثامنًا: كل سورة من المفصل فهي مكية، قال عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه- : «نزل المفصل بمكة، فمكثنا حججا نقرؤه، لا ينزل غيره»[47]، إلا أن بعض سور المفصل مدني نزل بعد الهجرة اتفاقا كسورة النصر فإنها كانت من أواخر ما نزل بعد الهجرة بل قيل إنها آخر ما نزل؛ فالأولى أن يحمل كلام ابن مسعود هذا على الكثرة الغالبة من سور المفصل لا على جميع سور المفصل، والمقصود بالمفصل من القرآن ما كثر الفصل فيه بين السور بعضها وبعض من أجل قصرها، وقيل: سميت بذلك لقلة المنسوخ فيها فقولها قول فصل: لا نسخ فيه ولا نقض[48].

وهذه الفوارق يمكن اعتبارها فوارق أسلوبية، أما الفارق الموضوعي بين السور المكية والسور المدنية هو أن المكية فيها بيان العقيدة الإسلامية، وبطلان عبادة الأوثان ومجادلة المشركين والدعوة إلى التوحيد، ومخاطبة العرب، وفيها قصص الأنبياء الذين جاءوا إلى بلاد العرب ولهم آثار في أجزائها تنادي بما صنع أقوامهم، وما أصابهم الله تعالى بكفرهم من حاصب، ومن خسف جعل عالي ديارهم سافلها، ومن ريح صرصر عاتية.

ولم يكن في الآيات المكية أحكام للمعاملات، وإن كان فيها إشارات إلى المحرمات كالخمر والربا، فقد قال تعالى مشيرًا إلى أن الخمر أمر غير حسن: {وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ

---

(40) سورة المؤمنون، الآيتان: (99، 100).

(41) سورة العلق، الآيتان: (6، 7).

(42) سورة المدثر، الآية: (32).

(43) ينظر: ابن هشام، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، (ص33، 34).

(44) ينظر: الهذلي، الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، (ص116).

(45) ينظر: السخاوي، جمال القراء وكمال الإقراء، (2/ 591).

(46) ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (1/ 197).

(47) أخرجه الطبراني في الأوسط، (6/ 258)، رقم (6344).

(48) ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (1/ 198).

يَعْقِلُونَ}[49]، فإن هذا النص الكريم يشير إلى أن الخمر ليست أمرًا حسنًا؛ لأنه- سبحانه وتعالى- جعلها مقابلة للأمر الحسن، ولا يقابل الحسن إلّا القبيح، أو على الأقل الأمر غير الحسن[50].

وهذا الفارق الموضوعي بين السور المكية والسور المدنية هو الضابط الوحيد الذي أشار إليه الدكتور الجابري في كتابه؛ فيقول: "إن القرآن المكي يتميز بكون موضوعاته تدور حول أمور العقيدة والآخرة ومجادلة المشركين"[51]، غير أن يؤخذ على الدكتور الجابري عدم اعتباره بغير هذه العلامة الموضوعية للسور المكية؛ حيث يقول في معرض حديثه عن الاختلاف بين المكي والمدني: "...وهذا الاختلاف الكبير راجع إلى أن التمييز بين المكي والمدني من السور لم يقع الاهتمام به إلا في المائة الثانية من الهجرة (في عصر التدوين)، والذين اهتموا به في ذلك العصر كان مستندهم في الأعم الأغلب جملة وقائع أو أمارات جزئية متعارضة لا يسمح باستنتاج يتعدى مجرد الظن والتخمين"[52].

والباحثان يريان أن الدكتور الجابري قد خالف الصواب في قوله: (التمييز بين المكي والمدني من السور لم يقع الاهتمام به إلا في المائة الثانية من الهجرة)؛ وذلك لأن معرفة المكي والمدني من العلوم التي يتفرع عنها أحد أبرز العلوم التي اهتم بها صحابة رسول الله- صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم- أنفسهم في النظر إلى القرآن الكريم واستنباط الأحكام منه، وهو علم الناسخ والمنسوخ الذي استفاضت فيه الروايات عن الصحابة- رضوان الله عليهم- والتابعين قبل عصر التدوين[53].

صحيح أن الصحابة قد اختلفوا اختلافاً كبيراً في تحديد المكي والمدني، غير "أنّ المختلفين في ذلك من الصحابة لا يرَونَ اختلافَهم فيه عن رسولِ الله- صلى الله عليه وسلم- بل إنّما يُخبرون بذلك عن أنفسِهم وما أدّاه إليه اجتهادُهم واستدلالُهم بظاهرِ الأمر، وإن روى بعضهم في ذلك عن النبي- صلى الله عليه وسلم- شيئاً لم يَرَوْهُ نصّاً قاطعاً، وإنّما يُحكى عنه قولاً مُحتَمِلاً، وقصّةً للتأويلِ والظنون عليها سبيل وطريق، وليس يجبُ اتفاقُهم على ما هذه سبيلُه، ولا أن يكونَ نقلُهم لما سَمِعُوه منه في هذا الباب من الكلام المحتَمِلِ ظاهراً منتشراً إذا كان لم يقع من الرسول وقوعاً معلَناً بحضرة مَن تقومُ به الحجّةُ، ولا هو ممّا أراد وقصدَ وقتَ قوله ذلك للواحدِ والاثنين أن يُذاعَ عنه ويَنتشِرَ من قِبَلِه حتى يكرره ويرددَه ويقصدَ إذاعتَه وإقامةَ الحجّة بإظهاره، وإذا كان ذلك كذلك لم يجب شيء مما قلتموه"[54].

المبحث الثالث: موقف الدكتور محمد عابد الجابري من ترتيب المستشرقين

أولا – عرض القضية:

يرى الدكتور محمد عابد الجابري أن المستشرقين قد اهتموا بترتيب سور وآيات القرآن الكريم حسب النزول، وكان هدفهم من وراء هذا إقامة تصور موضوعي عن تطور الوحي المحمدي والتعرف على الجانب الروحي من السيرة النبوية، وقد رفض هؤلاء المستشرقون في عملهم هذا تلك اللوائح التي قدمها الثقات من الرواة؛ لما يكتنفها من اختلاف يطال جميع سور القرآن الكريم تقريباً.

(49) سورة النحل، الآية: (67).

(50) ينظر: أبو زهرة، المعجزة الكبرى للقرآن، (ص19).

(51) الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، (ص237).

(52) الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، (ص237).

(53) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (1/ 187).

(54) الباقلاني، الانتصار للقرآن، (1/ 239).

وضرب الدكتور الجابري مثالاً لذلك بالمستشرق الألماني نولدكه الذي اقترح معايير موضوعية لترتيب سور وآيات القرآن الكريم على حسب النزول، معتمداً على معطيين يخصان تطور الخطاب القرآني، وهما:

أ- الإشارات التي تحيل في القرآن الكريم إلى وقائع تاريخية.

ب- خصائص النص القرآني وبالخصوص ذلك الفارق الواضح بين أساليب وموضوعات السور المكية وأساليب وموضوعات السور المدنية.

وفي هذا الصدد يرى الدكتور الجابري أن ما قام به المستشرقون ليس جديداً؛ إذ إن المعطيين المبني عليه قد فصل القول فيها كثير من المؤلفين المسلمين قديما وحديثا[55].

ثانيًا- مناقشة القضية:

لقد اهتم الغربيّون من اليهود والنصارى وغيرهم بالتعرف على القرآن والإسلام والمسلمين وعلومهم والكتابة فيها، فأفرز ذلك ظاهرة تسمى الاستشراق[56]، وكان هدف معظمهم معرفة الآخر أو العدو والوقاية منه وصده وهزيمته إن أمكن ثم كسبه إلى اتباع ملتهم كرها أو طوعا أو تركه حائراً، ولذا تحولت ظاهرة الاستشراق من الدراسات المكتوبة في القرون السالفة إلى الاحتلال العسكري، وتجسدت وجودا عسكريا وسياسيا وثقافيا ودينيا واقتصاديا وعولمة، مما ربط هذه الظاهرة بردة فعل من الكره الشديد لها في كل مجالاتها بحكم التعميم، لأن المسلمين لم يجدوا فيها إلا العدو المادي والمعنوي، ولكنهم لم يهملوها فدرسوها في أغلب مجالاتها.

لقد شملت الظاهرة الاستشراقية الدراسات الإسلامية في جوانب عديدة منها في علوم القرآن وعلوم الحديث والفقه والسيرة النبوية والجهاد، والأدب العربي وغيرها[57]، وقد درس المسلمون مناهج المستشرقين ومؤلفاتهم وحذروا من أوهامهم وردّوا عليها[58].

وفيما يخص تاريخ نزول القرآن فقد كان اهتمام المستشرقين كبيراً حتى ظن بعض الناس أن البحث في تاريخ القرآن من بدع المستشرقين في علوم القرآن، وقد أثبتنا في هذا البحث خطأ ذلك الوهم وبينّا أصالة هذا العلم في تاريخ العلوم القرآنية وكتب علماء المسلمين مما لا يترك للشبهة أثراً إن شاء الله.

ولم تخل دراسات المستشرقين في علوم القرآن من الإخفاقات الكثيرة التي ليس هنا مجال التوسع فيها ويحتاج بيانها إلى كتب مستقلة[59].

وكان لعدد منهم محاولات ومساع عديدة في ترتيب النزول على أسس ومناهج بحث

قابلة للأخذ والرد ولا تسلم من النقد والنقض، وقد اعتمد المستشرقون في كتابتهم عن تاريخ القرآن ومحاولاتهم ترتيب نزوله على التحليل العقلي[60] والآراء التحكمية، وممن اشتهر بدراسة القرآن وعلومه: نولدكه (Theodore Noldeke) وبلاشير (R .Blachere) وأرثر جفري (Arthur Jeffery) وجولد زيهر (Ignas Goldziher) ولهم في ذلك مؤلفات عديدة[61]،

---

(55) ينظر: الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، (ص243).

(56) الاستشراق، تيار فكري تمثل في العديد من الدراسات عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته، وكان له إسهام كبير في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي معبرا عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما، ينظر: الندوة العالمية للشباب، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، (ص33).

(57) ينظر: الحاج، الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية.

(58) ينظر: مجموعة مؤلفين، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، (ص118).

(59) ينظر: عباس، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، (ص212).

(60) ينظر: الحداد، القرآن والكتاب، (ص290).

(61) ينظر: مجموعة مؤلفين، مناهج المستشرقين، (1/ 25).

وغيرهم مثل رودويل (Rodwell) وموير (William Muir) وريتشارد بيل (Bell .R) ومونتجومري وات (Montgomery Watt)، ولعل من أشهر هذه الجهود ترتيب السور حسب النزول الذي بدأه فيل (Gotthold Wail) سنة 1844م، وأكمله نولدكه سنة 1860م، وصححه صاحبه شفالّي (Schwally) 1872، وهو المعروف "بترتيب نولدكه" وقد اعتمده المستشرقون من كل الجنسيات مثل بلاشير في ترجمته للقرآن[62].

ثم قام كل من شفالّي وبرجسترسر (Gotthelf Bergestrasser) بتصحيح محاولة نولدكه والإضافة عليها، وبالرغم من القول إن هذه المحاولة هي أشهر تلك المحاولات وأهمها[63] فقد كانت أبرز نقاط الضعف فيه اعتباره معظم السور وحدات كاملة، وهو ما تلافاه ريتشارد بيل ومونتجومري وات حين قسّما السور نفسها إلى وحدات يتكون كل منها من مجموعة صغيرة من الآيات.

ويرى بعض الباحثين[64] أن هذا الترتيب المنسوب لنولدكه فيه اقتباسات كثيرة من كتاب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي (ت نحو 400هـ).

وكثيرًا ما يمتدح المستشرقون بحوثهم ويصفونها بالعقلانية والتنويرية، ونحن نتحفظ من وصف دراسات المستشرقين بالعقلانية فقط[65]، إذ لا بد من تقييدها بالغربية، لأن الأصل في إطلاق صفة العقل أنها صحيحة، وهذا ما لم يثبت في دراسات المستشرقين التي تمثلت بدراسات وقراءات ناقصة لتاريخ نزول القرآن والسنة والسيرة النبوية[66]، وهذا ما أدى إلى انكسار الاستشراق في نظر علماء المسلمين وبعض المستشرقين المنصفين.

وقد تابع المستشرقين في الكتابة التاريخية لنزول القرآن عدد من الكتاب من نصارى العرب منهم:

1- يوسف درة الحداد[67]، له سلسلة من الكتب بعنوان: دروس قرآنية، القسم الأول منها في بيئة القرآن الكتابية، والثاني: القرآن والكتاب: أطوار الدعوة القرآنية، بحث فيه ترتيب النزول وقسمه إلى أطوار، ولم يأت فيه بجديد يستحق الذكر، وربما قصد من عمله التأكيد على متابعة قساوسة الشرق لقساوسة الغرب في التهكم والسباب والكذب والافتراء ضد القرآن والإسلام والمسلمين ومقدساتهم.

2- أبو موسى الحريري، تلميذ الحداد في كتبه، له كتاب اسمه عالم المعجزات (بحث في تاريخ القرآن)، فاق فيه أساتذته الحداد والمستشرقين في كرهه الفاضح للقرآن، بل والكذب والافتراء على القرآن الكريم وعلى الرسول محمد عليه الصلاة والسلام[68].

وما قلناه عن انتهاك يوسف درة الحداد لمصداقيته الشخصية والطائفية والدينية يصدق أيضا على أبي موسى الحريري، ونتمنى أن لا يصدق على غيرهما من كتبة أهل الكتاب، فحبذا لو أيقن أهل الكتاب أن القرآن ناداهم حتى يكونوا من أهل الكتاب الأخير من الله تعالى وهو القرآن الكريم، وأن ما كتبه الغربيون المستشرقون عن القرآن وتاريخه ليس جديرا بالتقليد، وأنهم إن قلدوهم فلن ينظروا إليهم إلا على أنهم شرقيون سواء أكانوا يهودا أو نصارى أو مسلمين، لأن نظرة الغربي العلمية رهينة للمشروع السياسي وليس العكس كما بين ذلك عدد من الباحثين.

---

(62) ينظر: الحداد، القرآن والكتاب، (ص290).

(63) ينظر: أمين، قواعد يستضاء بها في محاولة ترتيب السور والآيات القرآنية وفق تاريخ النزول.

(64) ينظر: عباس، قضايا قرآنية، (ص177).

65) ينظر: خليل، دراسة في السيرة، (ص11).

66) ينظر: غشام، قراءة في المستشرقون والقرآن لعمر لطفي العالم، ص345.

67) ينظر: السيد، نقد الاستشراق، (ص6).

68) ينظر: الحريري، عالم المعجزات (بحث في تاريخ القرآن)، (ص12).

وبعد هذه الإشارة إلى جهود المستشرقين وأتباعهم نود التنبيه إلى أن وجود دراسات اهتمت بهذا العلم لأغراض غير علمية ولا منصفة – كما رأينا في جهود المستشرقين ومن تبعهم- يدعونا إلى أن نبحث في هذا العلم بمنهج علمي متجرد من التعصب والهوى وبدراسة علمية ترد على المغرضين وتزيل اللبس والإشكال عن طلبة العلم، فهذا العلم واحد من علوم القرآن التي تعين على فهمه وتدبره، ولا ينبغي إخلاء ساحته لهم ولا لغيرهم، بل يجب الرد عليهم وتبيين موضع خطئهم وسلوك المنهج الأمثل في البحث العلمي.

الخاتمة

في ختام هذا البحث يمكن الخروج بالنتائج الآتية:

1- ولد محمد عبد الجابري عام 1935م بالمغرب في مدينة فكيك.
2- الجابري ينزع إلى فكر الحداثيين والمستشرقين، في التعامل مع الشرعية الإسلامية.
3- نزل القرآن الكريم على الرسول –صلى الله عليه وسلم- منجما، أي متفرقا.
4- انقسمت مناهج العلماء السابقين واللاحقين في تفسير كتاب الله تعالى إلى قسمين: تفسير بالمأثور، وتفسير بالرأي.
5- يرى الدكتور الجابري أن القرآن لم ترتب سوره وآياته على هذا النحو الذي نراه في المصاحف التي بين أيدينا إلا أيام الخليفة الراشد عثمان بن عفان، وهذا الترتيب تم وفق ثلاثة معايير لترتيب القرآن الكريم، وهي معيار الطول والقصر، والمكي والمدني، وأول ما نزل وآخر ما نزل.
6- يرى الجابري أن تمييز المكي من المدني موضوع اختلاف كبير بين الرواة والمفسرين.
7- الدكتور الجابري قد خالف الصواب في قوله: بأن التمييز بين المكي والمدني من السور لم يقع الاهتمام به إلا في المائة الثانية من الهجرة.
8- يرى الجابري أن المستشرقين اهتموا بترتيب سور وآيات القرآن الكريم حسب النزول، وهدفهم إقامة تصور موضوعي عن تطور الوحي، والتعرف على الجانب الروحي من السيرة النبوية.

التوصيات:

1- التوسع في دراسة فكر الجابري فيما يخص التفسير وعلوم القرآن الكريم.
2- السماح للدارسين الأكاديميين بالتسجيل في مثل هذا النوع من الدراسات.
3- عمل ترجمة موسعة عن الجابري، تكون مرجع للدارسين، تتناول سيرته من جميع الجوانب.
4- كشف الأفكار الحداثية والاستشراقية في فكر الجابري.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط1، 1409هـ.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، دار البشائر – بيروت، ط1، 1408هـ\ 1987م.
- ابن العربي، محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط3، 1424هـ\ 20003م.

- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر- بيروت، 1399هـ/ 1979م.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع – القاهرة، 2004م.
- ابن يعيش، يعيش بن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1422هـ/ 2001م.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق، السنن، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، لمكتبة العصرية – بيروت.
- أبو زهرة، محمد، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي – بيروت.
- إسماعيل، محمد بكر، دراسات في علوم القرآن، دار المنار – الأردن، ط2، 1419هـ\ 1999م.
- إسماعيل، محمد، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة – بيروت، ط1، 1422هـ.
- أمين، حسين أحمد، قواعد يستضاء بها في محاولة ترتيب السور والآيات القرآنية وفق تاريخ النزول، مجلة الهلال، عدد شعبان، 1419هـ/ ديسمبر 1998م.
- الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، الانتصار للقرآن، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار ابن حزم – بيروت، ط1، 1422هـ\ 2001م.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى، السنن، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، 1998م.
- الجابري، محمد عابد، مدخل إلى القرآن الكريم، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2006م.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط4، 1407هـ/ 1987م.
- الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1411هـ\ 1990م.
- الحجاج، مسلم، المسند الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الحريري، أبو موسى، عالم المعجزات (بحث في تاريخ القرآن)، دار لأجل المعرفة – لبنان، 1986م.
- الحملاوي، أحمد، شذا العرف في فن الصرف، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد – الرياض.
- الخطيب، عبد الله، المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، 1426هـ/ 2005م، المجلد رقم (2)، العدد رقم (2).
- الذهبي، محمد السيد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة – القاهرة.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3.
- السخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني، جمال القراء وكمال الإقراء، تحقيق: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط1، 1419هـ\ 1999م.
- السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ\ 1974م.
- صمو، حمادي، التفكير البلاغي عند العرب..أسسه وتطوره حتى نهاية القرن السادس الهجري، منشورات الجامعة التونسية، 1981م.

- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد- عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1420هـ\ 2000م.
- عباس، فضل حسن، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، دار الفتح- الأردن، 1421هـ/ 2000م.
- عتر، نور الدين محمد، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح – دمشق، ط1، 1414هـ\ 1993م.
- غشام، محمد، قراءة في المستشرقون والقرآن لعمر لطفي العالم،مجلة الاجتهاد، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، العددان (50 و1)، 1991م.
- قدوري، غانم، محاضرات في علوم القرآن، دار عمار – عمان، ط1، 1423هـ\ 2003م.
- الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، تأويلات أهل السنة، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1426هـ\ 2005م.
- الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة،، ط2، 1409هـ/ 1989م.
- النسائي، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1421هـ\ 2001م.
- النسائي، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، فضائل القرآن، تحقيق: د. فاروق حمادة، دار الثقافة – بيروت، ط2، 1413هـ\ 1992م.
- الهذلي، وسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل، الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ط1، 1428هـ\ 2007م.